

الدرس التاسع

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله ربّ العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين. أما بعد :

قال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى في كتاب «الكبائر» :

باب ما جاء في الكذب

وقول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَقْتَرِي الكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الكَاذِبُونَ﴾ [النحل: ١٠٥]، وقوله تعالى: ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾ [البقرة: ١٠]، وقوله تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ﴾ [الجاثية: ٧] .

قال رحمه الله: «باب ما جاء في الكذب» ؛ والكذب من آفات اللسان، وكبائر اللسان، ولهذا ساقه رحمه الله تعالى في أبواب كبائر اللسان.

وكما أن الصدق مطابقة القول لما في القلب ، ومطابقته للمخبر عنه، فإذا انخرم أحد هذين الأمرين صار كذباً، إما كذباً من حيث عدم مطابقته لما في القلب ، أو من حيث عدم مطابقته للمخبر عنه. ومن باب التوضيح: لو أن قائلًا قال: «أشهد أن محمداً رسول الله صلى الله عليه وسلم» ؛ قالها بلسانه دون اعتقاد لهذا الأمر في قلبه ، فمن حيث المخبر عنه ؛ محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومن حيث مطابقة القول لما في القلب كذباً، ولهذا قال الله سبحانه: ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾ [المنافقون: ١] ؛ كاذبون: أي في عدم مطابقة ما قالوه بألسنتهم لما في قلوبهم ، فحقيقة الصدق: مطابقة القول لما في القلب بحيث يتواطأ اللسان والقلب، ومطابقته للمخبر عنه، فإذا انخرم أحد هذين الأمرين لم يكن صدقاً.

والكذب من أوصاف المنافقين ، وهو من علامات النفاق، ومن فروع النفاق، وإذا كان هذا الكذب متعلقاً بالاعتقاد بحيث يُظهر الإيمان ويُبطن الكفر فهذا الكفر الأكبر الناقل من الملة، وإذا كان يُظهر الصدق ويُظهر الوفاء ويظهر الأمانة ويُبطن خلاف ذلك فهذا النفاق العملي ، وهذه الفعال من صفات المنافقين، ومن صفات النفاق وعلاماته. وسيأتي فيما ساقه المؤلف رحمه الله تعالى من أدلة ما يبين هذا المعنى.

أورد أولاً قول سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّمَا يَقْتَرِي الكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الكَاذِبُونَ﴾ [النحل: ١٠٥] وهذه الآية أوردها رحمه الله تعالى لبيان أن الكذب صفة الكفار، وأن الكذب من فروع

الكفر، كما أن الصدق من فروع الإيمان فإن ضده الكذب من فروع الكفر ومن فروع النفاق. ولا يلزم من قيام شعبة من شعب النفاق في شخص أن يكون منافقًا خالصًا، أو منافقًا النفاق الأكبر، كما أنه أيضًا لا يلزم من قيام شعبة من شعب الإيمان في شخص أن يكون بذلك مؤمنًا. فهذه الآية فيها أن الكذب من فروع الكفر وأعمال الكافرين، قال عز وجل: ﴿إِنَّمَا يَقْتَرِي الكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الكَاذِبُونَ﴾ ، وهذا ذكره الله سبحانه وتعالى ردًا على الكفار المشركين عندما افتروا الكذب على الرسول عليه الصلاة والسلام ، وقالوا: إن هذا الوحي وهذا القرآن الذي جاء به ليس من عند الله وإنما بشر علمه إياه، ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ﴾ [النحل: ١٠٣] فردّ الله سبحانه تعالى عليهم بقوله: ﴿إِنَّمَا يَقْتَرِي الكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الكَاذِبُونَ﴾ . فإذا الكذب من صفات النفاق، ومن صفات الكفر، ومن صفات الكافرين.

وأورد أيضًا قول الله عز وجل: ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾ [البقرة: ١٠٠] ؛ وهذه الآية فيها بيان أن الكذب من صفات النفاق وعلامات المنافقين، كما أن الآية التي قبلها في بيان أن الكذب من صفات الكفر وعلامات الكافرين، فهذه الآية فيها أن الكذب من علامات النفاق، قال الله عز وجل: ﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾ ؛ ذكر الله عز وجل ذلك في سياق ذكر أوصاف أهل النفاق. وسيأتي أن الكذب من علامات النفاق وآياته كما في الحديث الذي ساقه المصنف رحمه الله تعالى.

ثم ختم هذه الآيات الكريمات بقول الله عز وجل: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ﴾ [الجاثية: ٧] ؛ «ويل» : هذه كلمة تهديد ووعيد، وقيل: إن «ويل» وادي في جهنم.

«لِكُلِّ أَفَّاكٍ»: أي في مقاله ، «أثيم»: أي في فعالة.

﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ﴾ أي في مقاله أفاك ، وفي فعالة أثيم ؛ يفعل الإثم الذي يوجب العقوبة وسخط الله سبحانه وتعالى.

والشاهد هو قوله: ﴿أَفَّاكٍ﴾ ، والأفأك: هو الكذاب المفترى. وأن له العذاب وله الويل والتهديد بالعقوبة من الله سبحانه وتعالى ؛ مما يدل على عظم شناعة الكذب وخطورته على صاحبه.

قال رحمه الله تعالى :

٤٥ - عن ابن مسعود مرفوعاً: ((إِنَّ الصَّدَقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ، وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لِيَصْدُقَ وَيَتَحَرَّى الصَّدَقَ حَتَّى يَكْتُبَ عِنْدَ اللَّهِ صَدِيقًا. وَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ، وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لِيَكْذِبَ وَيَتَحَرَّى الْكَذِبَ حَتَّى يُكْتُبَ عِنْدَ اللَّهِ كَذَابًا)) أخرجاه.

هذا الحديث حديث ابن مسعود رضي الله عنه فيه حثٌّ على الصدق وترغيب فيه، وتحذيرٌ من الكذب وبيان لخطورته.

قال عليه صلوات الله وسلامه: ((إِنَّ الصَّدَقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ)) ؛ و«البرّ» : هذه الكلمة اسم جامع شامل لأفعال وأمور الخير كلها. وقرأ في ذلك آية البرّ في سورة البقرة: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قَبْلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ﴾ إلى آخر الآية [البقرة: ١٧٧] ؛ فالبر يشمل الدين عقيدةً وشريعة. فهي كلمة جامعة، اسم جامع شامل لأُمور الخير كلها.

وهنا يخبر عليه الصلاة والسلام أن ((الصدق يهدي إلى البر)) ، ما معنى ذلك ؟ أي أن الصدق يهدي أي يدل ويرشد صاحبه إلى أعمال الخير كلها وأبواب الخير كلها، فإذا وُفّق العبد إلى الصدق وأوتي قلبًا صادقًا ولسانًا صادقًا فإن هذا يهديه إلى أعمال الخير كلها، وأبواب الخير بأنواعها واختلاف مجالاتها.

قوله: ((إِنَّ الصَّدَقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ)) هذا شاهده في آية البرّ المتقدمة: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قَبْلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَأَنَّى السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا﴾ ؛ فهذا شاهد لذلك، وأن صدق العبد مع الله، صدقه في لسانه وصدقته في منطقته يهدي إلى كل أبواب الخير عقيدةً وشريعة.

وقوله: ((وإن البرّ يهدي إلى الجنة)) أيضًا شاهده في القرآن ، في قوله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ﴾ [الأنفطار: ١٣] . وهذا فيه أن البرّ يهدي إلى النعيم في الدور الثلاثة؛ في الدنيا ، والبرزخ ، ويوم القيامة.

قال: ((وإن الرجل ليصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقًا)) والصدّيق : اسم مبالغة من الصدق، أي كثير الصدق. ولا يصل العبد إلى هذه المنزلة العلية والرتبة الرفيعة إلا بتحرّيه للصدق، ومواظبته عليه،

وعنايته به، ومباعدته عن ضده الكذب ، فإن العبد لا يزال يصدق ويتحرى الصدق؛ أي ويواظب على ذلك ويعتني بذلك ويداوم على ذلك حتى يكتب عند الله تبارك وتعالى صديقًا.

قال: ((وإن الكذب يهدي إلى الفجور)) ؛ هذا فيه التحذير من الكذب وبيان خطورته.

((يهدي إلى الفجور)) أي يدل ويرشد ويفضي بصاحبه إلى الفجور. و«الفجور» هنا كلمة جامعة للشر كله، كما أن «البر» - كما تقدم - كلمة جامعة للخير كله فالفجور كلمة جامعة للشر كله، فمعنى ذلك: أن الكذب يهدي صاحبه بمعنى يفضي به ويدلّه إلى كل شر.

((وإن الفجور يهدي إلى النار)) وهذا أيضًا شاهده في القرآن: ﴿وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ﴾ [الانفطار: ١٤] ،

ومعنى ﴿لَفِي جَحِيمٍ﴾ أي في دورهم الثلاثة؛ في الدنيا ، والبرزخ ، ويوم القيامة.

((وإنّ الرجل ليكذب ويتحرى الكذب حتى يُكتب عند الله كذابًا)) ؛ وساءت حالاً -والعياذ بالله- أن يُكتب هذا العبد عند ربّه ومولاه كذابًا، نسأل الله العافية، يكذب ويكذب ويتحرى الكذب ويتعامل مع الناس بالكذب ولا يزال ... ثم النتيجة والعياذ بالله يُكتب عند ربّ العالمين كذابًا، ألا ساءت منزلة والعياذ بالله! ولهذا ينبغي على العبد أن يتقي الله عزّ وجلّ ويتجنب الكذب ويحذر من الكذب ويتعد عن الكذب حتى يسلم من أولاً هداية الكذب له إلى الفجور ، ثم إلى النار والعياذ بالله، ثم أن يُكتب بسبب تحريه للكذب ومداومته عليه يكتب عند الله سبحانه وتعالى كذابًا، حتى قال بعض العلماء: إن قوله: «يُكتب عند الله كذابًا» أن هذا يعني عدم توفيقه للتوبة، بمعنى أنه تأصل فيه الشرّ وأصبح هذا الكذب المتراكم عنده لا يهديه إلا إلى الفجور، أغلقت عليه أبواب الخير بسبب هذه التراكمات من الكذب التي أصبح يواظب عليها ويتحراها إلى أن بلغ هذا المبلغ، كُتب عند الله -والعياذ بالله- كذابًا.

قال النووي رحمه الله تعالى في شرحه لهذا الحديث: «قال العلماء: في هذا الحديث حثٌّ على تحري الصدق، وهو قصده والاعتناء به، وعلى التحذير من الكذب والتساهل فيه، فإنه إذا تساهل فيه كثر منه فيُعرف به».

قال رحمه الله تعالى :

٤٦ - وفي الموطأ عنه رضي الله عنه : ((لا يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب، فيُنكت في قلبه نكتة سوداء حتى يسودَّ قلبه فيُكتب عند الله من الكاذبين)).

قال: «وفي الموطأ عنه» أي ابن مسعود رضي الله عنه «موقوفًا» وليس مرفوعًا إلى النبي عليه الصلاة والسلام وإنما موقوفًا على ابن مسعود رضي الله عنه.

قال: ((لا يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب)) يتحرى الكذب: أي يقصده ، يعتني به، يواظب عليه، صار الكذب ديدناً له.

((فإنك في قلبه نكتة سوداء)) ؛ النكتة: الأثر الصغير من أي لون . عندما مثلاً يكون عندنا ورقة بيضاء، فيوضع عليها لون أزرق أو أسود أو أخضر يقال عن هذه القطعة الصغيرة من اللون: هذه نكتة، مثلاً يقال: هذه نكتة حمراء، وهذه نكتة سوداء، وهذه نكتة خضراء، وهكذا، فالنكتة : الأثر الصغير من أي لون.

قال هنا: ((نكتة سوداء)) ، والله عز وجل ذكر هذا اللون وصفاً للكفار يوم القيامة: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾ [آل عمران: ١٠٦] تبيض وجوه أهل الإيمان. فالنكتة ليست من أي لون، وإنما من اللون الأسود.

قال: ((حتى يسود قلبه)) أي أن هذه النكتة مع تكرّر الكذب تستوعب القلب، كلما كذب نُكت نكتة أخرى ونكتة ثالثة وأخرى حتى يستوعب هذا اللون القلب كله، والله سبحانه وتعالى يقول: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [الطافين: ١٤] ، «ران»: أي غطى على قلوبهم واستوعب قلوبهم ما كانوا يكسبون.

قال: ((حتى يسود قلبه فيكتب عند الله من الكاذبين)) .

قال رحمه الله تعالى :

٤٧ - وفيه عن صفوان بن سليم؛ قيل لرسول الله : «أَيُّكُونُ الْمُؤْمِنُ جَبَانًا؟» قال: ((نعم)). قيل : «أَيُّكُونُ الْمُؤْمِنُ بَخِيلًا؟» قال: ((نعم)). قيل : «أَيُّكُونُ الْمُؤْمِنُ كَذَّابًا؟» قال: ((لا)).

«وفيه» أي الموطأ «عن صفوان بن سليم» وصفوان بن سليم تابعي؛ فالحديث مرسل، وأيضاً في سنده مقال.

قال: ((قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم: أَيُّكُونُ الْمُؤْمِنُ جَبَانًا؟)) يعني هل هذه الصفة ممكن أن تكون موجودة في المؤمن؟ ((قال: نعم)) ، والجبن ناشئ عن شيء من الضعف في القلب ، وفي الدعاء المأثور: «اللهم إني أعوذ بك من الجبن ومن البخل».

((قيل: أَيُّكُونُ الْمُؤْمِنُ بَخِيلًا؟ قال: نعم)) والنبي صلى الله عليه وسلم في الدعوة المتقدمة تعوذ من هذين الأمرين «اللهم إني أعوذ بك من الجبن ومن البخل».

((قيل أَيُّكُونُ الْمُؤْمِنُ كَذَّابًا؟ قال: لا)) و«كذاباً»: صيغة مبالغة، ومعنى «كذاباً»: أي كثير الكذب؛ قد تقع منه الكذبة والكذبتين. أما أن يكون مواظب على الكذب كثير الكذب، كما يدل عليه هذا الوصف «كذاباً» ((قال: لا)) . والمراد بالنفي للإيمان هنا نفي لكمال الإيمان الواجب، لأن الكذب والمواظبة عليه وتحريه وألا يزال

العبد يكذب ويكذب وديدنه الكذب هذا من الكبائر التي تُحلّ بكمال الإيمان الواجب، مما يعرّض صاحبه للعقوبة.

قال رحمه الله تعالى :

٤٨ - وللترمذي وحسنه عن ابن عمر رضي الله عنهما : «إذا كذب العبد تباعد عنه الملك ميلاً».

قال: «وللترمذي وحسنه عن ابن عمر» مرفوعاً : «إذا كذب العبد تباعد عنه الملك ميلاً من نُتْن ما جاء به» كما في الأصل في سنن الترمذي أو جامع الترمذي ((من نُتْن ما جاء به)) ؛ وهذا فيه أن الكذب نُتْن، والنُتْن: هو الرائحة الكريهة الخبيثة.

قال: ((تباعد عنه الملك ميلاً)) أي مسافة، لأن الكذب له رائحة منتنة، فيبتعد الملك عنه لقبح رائحته. وإسناده فيه كلام ، فيه رجل ضعيف يقال له: عبد الرحيم بن هارون.

قال رحمه الله تعالى :

باب ما جاء في إخلاف الوعد

وقول الله تعالى: ﴿فَاعْتَبِهِمْ نَفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ﴾ الآية [التوبة: ٧٧] .

قال: «باب ما جاء في إخلاف الوعد» ؛ الوعد : هو أمر يتعلق بالمستقبل، يقول الإنسان: سأفعل كذا، وسأقوم بكذا، وسأؤدي كذا في أمور مستقبلية، فهذا عهدٌ يجب الوفاء به، والوفاء به من صفات أهل الإيمان، وعدم الوفاء من صفات أهل النفاق.

قال الله عز وجل: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهُ لِنُؤْنِ أَتَانَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [التوبة: ٧٥] ؛ فهذا ذكره الله سبحانه وتعالى في أوصاف المنافقين، وأن هؤلاء عندما آتاهم الله ومنّ عليهم من فضله لم يفوا بهذا الوعد، فماذا قال؟ ﴿فَاعْتَبِهِمْ نَفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ﴾ ؛ أعقبهم : أي أخلفهم بسبب إخلافهم للوعد وعدم وفائهم به، أخلفهم ﴿نَفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾ .

وهنا لاحظ ملاحظة مهمة جداً : أن إخلاف العبد ما وعدَ ربه سبحانه وتعالى على فعله خطيئاً جداً؛ لأنه قد يُخلف نفاقاً، عندما يعاهد ربه "لأفعلن كذا، لأقومن بكذا"، ثم إذا تفضل الله عليه ومنّ أخلف ! هذا خطير على الإنسان قد يخلف نفاقاً، لأن هؤلاء أعقبهم عدم وفائهم للعهد الذي عاهدوا الله سبحانه وتعالى عليه عاقبهم الله عز وجل بنفاق مستمر دائم إلى يوم القيامة، ﴿إِلَى يَوْمٍ يَلْقَوْنَهُ﴾ ؛ فهذا يدل على خطورة ذلك . ولهذا يجب على المسلم أن يحذر أشدّ الحذر من هذا الوصف الشنيع ؛ أن يعاهد ربه سبحانه وتعالى على أنه إن منّ الله عليه بكذا وأعطاه كذا ليفعلن كذا وليفعلن كذا ، ليحذر من إخلاف هذا الوعد وعدم الوفاء بهذا العهد ؛ فإنه ربما عاقبه سبحانه تعالى بالنفاق كما عاقب سبحانه وتعالى هؤلاء بالنفاق الدائم إلى يوم القيامة.

الشاهد : أن هذه الآية فيها تحذيرٌ شديد من إخلاف الوعد، وأن إخلاف الوعد من صفات المنافقين وعلاماتهم، وذكره الله سبحانه وتعالى في جملة أوصاف المنافقين في السورة التي تُعرف بـ «الفاضة»، لأن الله فضح فيها المنافقين، وذكر من جملة أوصاف أهل النفاق أنهم إذا وعدوا أو عاهدوا الله على أمر أخلفوه ولم يفوا بما عاهدوا الله سبحانه وتعالى عليه، وأنّ الله عاقبهم على ذلك بنفاق دائم مستمر إلى يوم يلقونه.

قال رحمه الله تعالى :

٤٩ - عن أبي هريرة رضي الله عنه أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا أؤتمن خان)) أخرجاه.

قال: عن أبي هريرة رضي الله عنه أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((آية المنافق ثلاث)) و«الآية»: هي العلامة، «آية المنافق»: أي علامة المنافق. وهذا فيه أن هذه الثلاث المذكورات من صفات المنافقين وعلامات أهل النفاق. وفي هذا أيضاً دلالة أن هذه الخصال من شعب النفاق، وأضدادها من شعب الإيمان.

قال: ((إذا حدث كذب)) أي أن من ديدنه الكذب، كلما حدث يكذب، مثل ما تقدم يكذب ويتحرى الكذب. فمن علامات النفاق الكذب والتحري للكذب والمواظبة عليه.

((وإذا وعد أخلف)) ومّر معنا ذكر الله سبحانه وتعالى إخلاف الوعد صفةً من صفات أهل النفاق.

((وإذا أؤتمن خان)) أي إذا ائتمنه أحدٌ على مال أو على متاع أو على شيء من هذه الأمور خان الأمانة، بجحدها وعدم ردّها مثلاً إلى صاحبها.

فهذه الأمور الثلاثة تُعد أوصافاً للمنافقين وعلاماتٍ على النفاق. والنفاق نوعان: نفاقٌ اعتقادي ، ونفاقٌ عملي.

وأما تعريف النفاق من حيث هو: هو عدم توافق الباطن مع الظاهر . اختلاف بين الظاهر والباطن، هذا هو النفاق، يعني أن يظهر من الإنسان شيء ويكون في الباطن شيء آخر . هذا هو النفاق : يُظهر شيئاً ويبطن آخر. فإذا كان يُظهر الإيمان ويُبطن الكفر.

﴿فَالنِّفَاقُ هُنَا اعتقادي وهو ناقل من الملة، قال الله عز وجل: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ

النَّارِ﴾ [النساء: ١٤٥] .

﴿لكن إذا كان يُظهر الصدق في الحديث ويُبطن الكذب، يُظهر الوفاء بالأمانة ويُبطن عدم الوفاء، يُظهر الوفاء بالوعد ويُبطن خلاف ذلك، هذه الآن الإظهار والإبطان متعلق بأمور عملية.

فالنفاق نفاقان:

١. نفاق أكبر ناقل من الملة .

٢. ونفاق أصغر ؛ وهو النفاق العملي، وليس ناقلاً من الملة لكنه من الكبائر والذنوب العظيمة.

قال رحمه الله تعالى :

٥٠ - ولهما عن ابن عمر مرفوعاً: ((أربع من كن فيه كان منافقاً خالصاً، ومن كان فيه خصلة منهن كان فيه خصلة من النفاق حتى يدعها: إذا أؤتمن خان، وإذا حدث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر)) .

قال رحمه الله : «ولهما» أي البخاري ومسلم عن ابن عمر مرفوعاً: ((أربع من كن فيه كان منافقاً خالصاً، ومن كان فيه خصلة منهن كان فيه خصلة من النفاق حتى يدعها)) هذا يدل على خطورة هذه الشعب، وأنها من شعب النفاق، وأنها لا تكاد تجتمع في العبد كاملة مواظباً عليها إلا عن فسادٍ في قلبه.

قال : ((من كن فيه كان منافقاً خالصاً، ومن كان فيه خصلة منهن كان فيه خصلة من النفاق)) لماذا ؟ لأن هذه الأعمال من شعب النفاق، وهذه الأعمال نفاقٌ عملي، والنفاق العملي إذا واطب عليه الإنسان خطر، قد يفضي به إلى النفاق الأكبر والعياذ بالله. وإذا كان العلماء قالوا في المعاصي: إنها بريد الكفر، فإن أيضاً هذه الشعب من شعب النفاق العملي بريد للنفاق الأكبر ، بمعنى أنه تفضي بالإنسان إليه.

قال: ((إذا أؤتمن خان، وإذا حدث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر)) وإذا ضمنت إليها ما جاء في الحديث الذي قبله: ((وإذا وعد أخلف)) فيكون مجموع الحديثين تحصيل منهن خمس علامات من علامات المنافقين، أربعة في هذا الحديث، ويضم إليها خامسة من الحديث الذي قبله وهي إخلاف الوعد.

ومعنى قوله في هذا الحديث: ((وإذا خاصم فجر)) أي إذا كان بينه وبين شخص خصومة ومنازعة فجر في الخصومة، أي مال عن الحق وأظهر خلاف الحق، يدّعي مثلاً المال أنه له، وهو في قرارة باطنه يعرف أنه ليس له، هذا نفاق ، من أوصاف المنافقين: «إذا خاصم فجر».

قال رحمه الله تعالى :

باب ما جاء في «زعموا»

وقول الله تعالى: ﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِالسِّنِّتِمْ وَقُولُوا بِأَفْوَاهِكُمْ﴾ الآية [النور: ١٥] ، وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَسَبِّتُوا﴾ الآية [الحجرات: ٦] .

قال رحمه الله تعالى: «باب ما جاء في زعموا» ؛ «زعموا» هذه مطية الكذب، وإذا أدخل هذه الكلمة الإنسان في لسانه ربما أفضت به إلى الكذب. و«زعموا»: يراد بها أن الإنسان صار من ديدنه نقل الكلام دون تحري ودون تثبت، ما يسمعه بأذنه ينقله إلى الآخرين بفمه دون أن يتحرى دون أن يمحّص، مع أن الأصل أن العبد لا يتكلم إلا بما تحقق منه، أما مجرد أن يكون فقط سمعه ويكون ديدنه دائماً "قليل وزعموا ويقال" فهذا لا يجوز ، وقد مر معنا: ((وكره لكم: قيل وقال، وكثرة السؤال، وإضاعة المال)) ؛ فهذا مما ينبغي أن يحذر منه العبد، ولا يجوز له مجرد أن يسمع كلاماً ينقله للآخرين . تجد بعض الناس هذا همه، إذا لقيك قال: والله سمعت كذا، ويقال كذا، وسمعت كذا، وسمعت كذا، وينقل وينقل، بعض الناس يصبح مثل المذيع، ينقل ولا يتحرى ولا يمحّص، علي بن أبي طالب لما ذكر أوصاف أهل الحق قال: «لا تكونوا مذاييع بُذراً» لما حذر من الفتن قال: «لا تكونوا مذاييع» لأنه وخاصة في الفتن يكثر عند الناس إذاعة الأخبار ونشر الأخبار، وسمعا وقيل وقالوا إلى آخره دون أن يتحرى ، ثم بعد تمحص الأمور يتبين له أن عنده قائمة من النقول التي نقلها كلها غير صحيحة، لكنه نقلها، انتهت، نقلها وسمعا الآخرون منه، والآخرون نقلوها، ودخلت في جملة عمله الذي سيحاسبه الله سبحانه وتعالى عليه يوم القيامة ، ولهذا ينبغي على الإنسان أن يكون على حذر. وكثيراً ما يكون في الفتن إذاعة الأخبار ونقلها دون تمحيص، والله سمعنا اليوم إنه حصل كذا، وسمعنا أن فلاناً فعل كذا، كذا وسمعنا أن الشعب الفلاني فعلوا كذا، وسمعنا وسمعنا.. ثم يأتي بعد أسبوع أو بعد أسبوعين ويتأمل فيما نقله للناس، "سمعنا وقيل وزعموا" ، يجد أن عنده قائمة من الأخبار الكاذبة ساهم في نقلها ونشرها في الناس. وإذا كان من أهل الأجهزة الحديثة ويرسل للآخرين فإن الأمر أخطر، لأن هذه الأجهزة أحياناً توصل إلى ملايين البشر. فيجب على الإنسان أن يحذر من ذلك وأن يكون عنده تمحيص للأخبار وتحقق من صحتها وتثبت قبل نقلها، لا أن ينقل مباشرة دون تمحيص.

أورد رحمه الله آيتين عظيمتين في هذا الباب:

الأولى: قول الله عز وجل: ﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَقُولُونَ بَأْفَوَاهِكُمْ﴾ [النور: ١٥] ؛ ﴿تَلَقَّوْنَهُ﴾ أي خبر الإفك، وما رُميت به أم المؤمنين عائشة إفكًا وافتراءً وظلمًا. ﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُ﴾ أي تتلقفونه وتستمعون إليه ثم تذيعونه وتنشرونه وتشيعونه دون أن تتحرّوا وتتأكدوا من صحة ذلك وثبوته.

قال : ﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَقُولُونَ بَأْفَوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ﴾ ؛ لاحظ الآن وقعوا في أمرين، وقعوا في خطأين:

■ الأول: ما ذكره الله عنهم بقوله: ﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ﴾ تتلقفونه بألسنتكم وتنقلوه، وهذا فيه التكلم بالباطل.

■ ﴿وَقُولُونَ بَأْفَوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ﴾ هذا فيه القول بلا علم.

فجمعوا بين تكلمٍ بباطل وقولٍ بلا علم ؛ فالشيء الذي تكلموا به باطل، وكلامهم كان بدون علم، ولو كان الإنسان يتحرى ويمحص ويتأكد ثم بعد ذلك إذا تحقق نقل لسلم من ذلك.

﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَقُولُونَ بَأْفَوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا﴾ لا والله ليس هينًا، هذه الأمور ليست هينة، هذه ذمم وأعراض وكلام في الناس واستطالة على أعراضهم، أمر ليس بهين، وعرض الإنسان وشرفه ومكانته أعلى عنده من ماله، وإنّ كما جاء في الحديث: ((أرأيت الربا استطالة المرء في عرض أخيه المسلم)) ، لأن عرض الإنسان أعلى عنده من ماله، بل بعض الناس يمكن يضحى بماله في سبيل حفظ سمعته وعرضه أن يلاك أو يقال فيه ما هو بريء منه.

فإذاً هذه الأمور خطيرة جدًا، ولا يجوز للإنسان مجرد أن يسمع، "والله سمعنا فلان يقولون عنه ويقال عنه أنه يفعل كذا ويمارس كذا" ، ما يجوز نقل هذه الأخبار، إذا لم يتأكد الإنسان ويتحقق لا يجوز له أن ينقل الأخبار، ويساهم في إشاعة الأخبار الكاذبة الآثمة التي فيها الطعن في الناس والوقعة في أعراضهم بدون أن يكون تحقق من هذه الأخبار فيبوء بإثم الكاذبين، قال: ﴿وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ﴾.

قال: وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَسَبُّوا﴾ أي تثبتوا. لماذا؟ ﴿أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾ ؛ كم تتكرر هذه في حياة كثير من الناس! يصيب بعض إخوانه بجهالة، مجرد أنه سمع أو نقل له ولم يتحقق، ثم يساهم في الكلام في أخيه المسلم وهو لم يتثبت ولم يتحقق، ثم بعد ذلك ربما أحيانًا بشهور أو بسنوات يتبين أن الأمر غير صحيح، ويندم، يقول: والله إني ظلمته وأسأت إليه وقلت

عنه كذا وكذا، وأنا لم أتأكد ولم أتحرّر، ﴿فَتُصَبِّحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾. فالواجب على العبد أن يكون حذرًا من هذه المطية، مطية الكذب «زعموا، سمعنا، يقال، بلغنا» ويكون لم يتحرّر ولم يحصّ ولم يتأكد.

قال رحمه الله تعالى :

٥١ - عن أبي مسعود وحذيفة رضي الله عنهما مرفوعًا: ((بئس مطية الرجل زعموا)) رواه أبو داود بسند صحيح.

قال: عن أبي مسعود أو حذيفة رضي الله عنهما مرفوعًا أي إلى النبي عليه الصلاة والسلام ((بئس مطية الرجل زعموا)) ؛ المطية : هي التي يُركب، المركوب الذي يُتوصل من خلاله إلى الغاية والمقصد الذي يريده الإنسان. قال : ((بئس مطية الرجل زعموا)) أي ألا ساء عادةً وطريقةً للإنسان أن يجعل «زعموا» مركوبًا له، يمتطي هذا المركوب ويصبح في مجتمعه نقلاً للأخبار لا يحصّ ولا يتأكد، لكنه في قراءة نفسه يريد أن يكسب شيئاً في المجتمع، أتدرون ما هو ؟ يقولون: فلان سريع في نقل الأخبار، أخباره سريعة. هذا الذي أخباره سريعة يدل على أنه ما يحصّ، مجرد ما يسمع بالخبر ينقله مباشرة ويذيعه مباشرة، فالسرعة في نقل الأخبار ليست محمّدة، المحمّدة والحق هو التحري ، يطمئن ، أما إنسان سريع في نقل الأخبار معنى هذا أنه لا يتحرى، مجرد ما يسمع طارفة الخبر ينقله للناس بدون تحري وبدون تمحيص. فبعض الناس يتوهم ويظن أن هذه محمّدة، وهذه منقصة للإنسان وخطيرة جدًا.

قال: ((بئس مطية الرجل زعموا)) أي ساء عادةً وقُبِحت صفة في الإنسان أن تكون عادته اتخاذ «زعموا» مطية له. ليس لازماً أن تكون هذه اللفظة بذاتها «زعموا كذا» لا، يقول: "سمعنا، بلغنا" ، وبعضهم ربما يضيف لها كلمة نوع من الورع لكنها تسقط مع الناقلين الآخرين، يقول: "والله سمعنا وما تحققنا"، والآخرين يأخذونها منه ويحذفون "ما تحققنا" وتصبح شائعة كاذبة في المجتمع، ويكون هذا الأول هو الذي... ، إذا لم تتحقق لا تنقل أصلاً، أنت قد تجعل فيها "ما تحققنا" والآخر ينقلها بحذف "ما تحققنا" ، سيقول الآخر: "سمعت فلاناً يقول كذا"، يحذف قولك أنت: "ما تحققنا"، والشائعات هكذا تنتشر، وفي الغالب يزيد الناس في الشائعة حتى تصل في نهاية الأمر إلى خبر لا علاقة له بالواقعة إطلاقاً لا من قريب ولا .. ، لكن بيوء بالإثم هؤلاء النقلة الذين لا يحصّون ولا يتحرّون.

قال رحمه الله تعالى :

٥٢ - ولمسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً: ((كفى بالمرء كذباً أن يحدث بكل ما سمع)).

قال عليه الصلاة والسلام: ((كفى بالمرء كذباً أن يحدث بكل ما سمع)) أي : أنّ الإنسان لو لم يكن فيه إلا أنه كل ما سمعه ينقله، يحدث بكل ما سمع، ما معنى ذلك ؟ معنى ذلك أن أذنه ما يدخل فيها من أخبار يخرج من فمه مباشرة ، كل الأخبار التي تدخل مع الأذن تخرج من الفم مباشرة، ما عنده عقل ولا عنده تمحيص ولا عنده أي شيء من هذا، مجرد أنه دخلت الكلمة مع الأذن لابد أن تخرج مع الفم، ولا بد أن ينقلها، معنى ذلك أن ما عنده عقل، ولا عنده تمحيص، ولا عنده تحري ولا عنده أبداً شيء من هذا، فالواجب على الإنسان أن يمتحّن الأمور وأن يتحقق، وكما أنه لا يرضى هو فيما يتعلق بشخصه أن تُنقل عنه أخبار دون أن يُتأكد منها فليعامل الناس بالمعاملة التي يجب أن يُعامل بها، وليأت إلى الناس الشيء الذي يجب أن يؤتى إليه.

قال رحمه الله تعالى :

باب ما جاء في الكذب والمزح ونحوه

وقول الله تعالى: ﴿قَالُوا اتَّخَذْنَا مُزَاحًا﴾ الآية [البقرة: ٩٧] .

قال: «باب ما جاء في الكذب والمزح ونحوه» ؛ المراد بهذه الترجمة أن يكون الإنسان اتخذ من الكذب وسيلة للمزح وإضحاك الناس وبسطهم، فيكذب من أجل أن يُضحك الناس، وقد جاء في الحديث الصحيح في المسند للإمام أحمد وغيره عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال: ((وَيْلٌ لِلَّذِي يُحَدِّثُ الْقَوْمَ ثُمَّ يَكْذِبُ لِيُضْحِكَهُمْ ؛ وَيْلٌ لَهُ وَوَيْلٌ لَهُ)) ، فيكون يحب المزاح ويجب اللعب ويجب إضحاك الناس فيدخل في حديثه أشياء من الكذب لا لشيء إلا ليضحك الناس، فيقول عليه الصلاة والسلام: ((ويل له ثم ويل له)) أي لمن كان ذلك.

والمؤمن من شأنه الترفع عن هذه الأوصاف والبعد عن هذه الخصال الذميمة، فهو لا يتكلم بالكلام إلا الذي فيه فائدة ومنفعة وفيه خير، أما الكلام الذي هو عبارة عن استهزاء أو سخرية أو كذب على الناس فلا يدخل في شيء منه، مع أن كثير من الناس يدخل في هذه الأشياء من أجل الضحك وإضحاك الآخرين ، يستهزئ بشخص أو يسخر بآخر أو يكذب على شخص أو نحو ذلك من أجل أن الحاضرين عنده يضحكون، وإذا ضحكوا انتهى المقصود الذي أراده، وباء بالاثم والعياذ بالله.

أورد أولاً قول الله عز وجل: ﴿قَالُوا اتَّخَذْنَا هُزُوءًا﴾ ؛ وهذا جاء في سياق، لما كان من بني إسرائيل شخص قتل وأردوا أن يُعرف من هو، ونزل: ﴿اضْرِبُوهُ بَعْضُهَا﴾ سألوا موسى عليه السلام: ماذا يذبحون؟ فقال لهم : ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً﴾ جاءه وحي من الله بذلك، فقالوا: ﴿اتَّخَذْنَا هُزُوءًا﴾ ، هو أخبرهم بوحي الله عز وجل وما أنزل الله عليه وهو أمرٌ من خلاله بإذن الله يظهر هذا الأمر ، ﴿قَالُوا اتَّخَذْنَا هُزُوءًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ . الشاهد من ذلك للترجمة : أن من أوصاف الجاهلين وخصالهم الذميمة أن يكون الإنسان ديدنه الهزء واللعب ويتكلم بالكلام الذي لا فائدة فيه ولا خير ، اللهم إلا أنه يريد أن يُضحك الناس إلى غير ذلك، فهذا من الأوصاف الذميمة وهو من أوصاف الجاهلين، أما أهل الحق وأهل الهدى وأهل العلم لا يتكلمون بالكلام الذي لا فائدة من ورائه، ولا يخوضون في أمور الاستهزاء وأمور السخرية وغير ذلك من الأمور.

قال رحمه الله تعالى :

٥٣ - عن أم كلثوم بنت عقبة رضي الله عنها مرفوعاً: ((ليس الكذاب الذي يصلح بين الناس فيقول خيراً أو ينمي خيراً)) أخرجاه.

قال عليه الصلاة والسلام: ((ليس الكذاب)) أي الذي يستحق العقوبة ويؤثم الكذب ((الذي يصلح بين الناس)) ؛ فما كان من هذا القبيل لا يكون كذاباً يستحق الإنسان عليه العقوبة.

قيل: إن المراد بالكذب هنا الكذب الصريح، وأنه لا شيء على الإنسان فيه إذا كان في باب الإصلاح. وقيل: إنه هو التورية ؛ وما من شك أن التورية هي التي تنبغي وفيها مندوحة للعبد عن الكذب حتى في باب الإصلاح. لكن مثلاً شخص يريد أن يصلح بين متخاصمين، وقال لأحدهما: أنا كنت عند فلان وسمعتة يثني عليك، وهو لما كان عند فلان لم يسمعه يمدحه ويذكره بالأوصاف الجميلة، وإنما سمع ذمًا له، يقول: فعل كذا وفعل كذا يذمه، فقال: سمعتة يثني عليك، كلمة «يثني عليك» في لغة العرب تشمل الثناء على الشخص بالخير والثناء بالشر، وهو قال: «يثني عليك» أوهمه أنه يثني عليه أي يمدحه، من باب الإصلاح، و"يدعو لك" لأن الشخص الذي ينقل عنه يصلي ويقول في صلاته: «السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين» وهذا يشمل هذه الدعوة، فقال: "ويدعو لك" يقصد أنه في جملة دعائه للمسلمين يشملك دعاءه، يقصد بذلك الإصلاح وتخفيف وطأة الخلاف وشدة الخصومة التي بينهم. فيقول عليه الصلاة والسلام: ((ليس الكذاب الذي يصلح بين الناس

فيقول خيراً أو ينمي)) أي ينقل ويبلغ ((خيراً)) من أجل أن تحف وطأة وحدة الخصومة والشحناء بين المتخاصمين، فهذا من المصلحين، والله يقول: ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ﴾ [النساء: ١١٤] .

قال رحمه الله تعالى :

٥٤ - ولمسلم قالت: «ولم أسمع يرخص في شيء مما يقول الناس إنه كذب إلا في ثلاث: في الحرب، والإصلاح بين الناس، وحديث الرجل امرأته، وحديث المرأة زوجها».

قال: ولمسلم «قالت» يعني أم كلثوم رضي الله عنها «ولم أسمع» أي رسول الله صلى الله عليه وسلم «يرخص في شيء مما يقول الناس» أي من أمور الكذب ما يقال إنه كذب «إلا في ثلاث: في الحرب، والإصلاح بين الناس، وحديث الرجل امرأته، وحديث المرأة زوجها» ؛ فهذه الأمور رُخص فيها، ولا شك أن التورية هي الأولى في مثل هذه المقامات، ويحرص الإنسان تجنب الكذب حتى في ذلك ويوري، وفي التورية مندوحة عن الكذب، لكن إذا اضطر في أمر فيه صلح وفي مصلحة وفيه درء شرور وظلم ونحو ذلك فإن ذلك يدخل في قوله: ((إلا في ثلاث: في الحرب، والإصلاح بين الناس، وحديث الرجل امرأته، وحديث المرأة زوجها)).

«وحديث الرجل امرأته» أي مما ينمي العشرة ودوام الألفة والمحبة والتعاون، يعني لو قُدِّرَ أن رجلاً ليس في قلبه ميل لزوجته، ليس في قلبه محبة قوية لزوجته، لكنه يحلف لها أنه يحبها من أجل أن ينمي بينهم الحياة وتنشئة الأولاد ؛ هذا خير له من أن يصارحها بما في قلبه، إذا صارحها بما في قلبه أفسد كل شيء، وتعطلت جميع الأمور، ولا مصلحة في ذلك، لكن إذا قال لها: والله إني أحبك مثلاً، وهو يقصد بذلك محبة المسلمين، وأنها امرأة مسلمة، لكن ليس في قلبه ميل لها، استبقاءً للحياة وتحريكاً للعواطف والمشاعر وتحقيق المصالح لا شك أن هذا هو خير للإنسان وأدعى لدوام العشرة واستمرار الألفة بين الزوجين، هذه المعاني التي تنمي المحبة جاء في الشرع ما يقر ذلك.

قال رحمه الله تعالى :

٥٥ - وعن عبد الله بن عامر رضي الله عنه قال: دعيتني أُمي يوماً ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس في بيتنا فقالت: «ها تعال أعطك». فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((أما إنك لو لم تعطيه لكتبت عليك كذبة)) رواه أحمد وأبو داود.

قال: عن عبد الله بن عامر رضي الله عنه قال: «دعني أُمي يومًا ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس في بيتنا. فقالت: ها تعال أعطك» ؛ «ها»: كلمة استدعاء وتنبيه. تقول له وهو صغير : «ها تعال أعطيك» ، وهذه كثيرًا ما تقال للصغار، وبعضهم إذا أراد أن يداعب صغيرًا أغلق يده هكذا يوهمه أن يده فيها حلوى أو هدية أو شيء، وقال: "تعال خذ"، خذ الذي في يدي، ويأتي الصغير يركض يظن فيها حلوى، فيمسكه وتكون اليد خالية. هذه تُكتب كذبة من جهة، ومن جهة أخرى خطيرة جدًّا، لأن هذه هي التي تغيّر فطرة الطفل، لأن الطفل ينشأ عن فطرة، ومن الفطرة الصدق، هذه الفطرة مما يغيرها مثل هذه الأعمال ، فيكون أراد فقط أن يداعب الطفل ويمسك به، ولكن في حقيقة الأمر غرس فيه مثلاً الكذب، ونشأه على الكذب.

فماذا قال النبي صلى الله عليه وسلم ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الناصح الأمين صلوات الله وسلامه عليه ((وما أردت أن تعطيه؟)) ما الشيء الذي كنتِ أرت أن تعطيه ؟ قالت: «أعطيه قرًا»، أردت أن أعطيه تمرا ، ما قلت له تعال إلا وأردت أن أعطيه شيئًا . فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((أما إنك لو لم تعطيه لُكُتبت عليك كذبة)) تكتب عليها كذبة! مع أنها ما أرادت إلا مداعبة الطفل ، ومثل هذه الأمور تكتب كذبة.

ولهذا يجب على الإنسان أن يحذر من ذلك حتى مع بهيمة الأنعام، يعني بعضهم يمسك مثلاً في ثوبه ويوهم البهيمة أن فيه طعام، أو يأتي بعلبة فاضية ويريدها أن تقترب ويوهم أن فيها طعامًا. ومما يُنقل عن أحد طلاب العلم في القديم في دراسة الحديث وتتبع رواية الحديث، لما وصل إلى مكان العالم الذي أراده فرآه ينادي دابة وليس في الوعاء الذي معه شيء، فتركه. فالشاهد أن مثل هذه الأمور يجب على الإنسان أن يتعد عنها لأنها تُكتب عليه. قال: ((أما إنك لو لم تعطيه لُكُتبت عليك كذبة)).

قال رحمه الله تعالى :

٥٦ - ولأحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا: ((من قال لصبي ها تعال أعطك، ثم لم يُعْطِه فهي كذبة)).

وهذا مثل الذي قبله ((من قال لصبي ها تعال أعطك، ثم لم يُعْطِه فهي كذبة)).

قال رحمه الله تعالى :

٥٧ - وله عن أسماء بنت يزيد رضي الله عنها قلت: يا رسول الله إن قالت إحدانا لشيء تشتهييه لا أشتهيه، أيعد ذلك كذباً؟ قال: ((نعم، إن الكذب يُكتب كذباً حتى تكتب الكذبة كذبة)).

الكذبة: تصغير. يعني حتى الشيء القليل يُكتب؛ لأن هذا من جملة قول الإنسان، وقول الإنسان من جملة عمله الذي يُكتب إما له أو عليه، وقد مر معنا قول الله سبحانه وتعالى: ﴿مَا يَلْفُظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [١٨: ١٨] فإذا قُدِّمَ للإنسان طعامٌ وهو يشتهييه وقال: "لا أشتهيه" وهو في الحقيقة يشتهييه، «أُعد ذلك كذباً؟» قال: ((نعم)).

قال رحمه الله تعالى :

٥٨ - وللترمذي وحسنه مرفوعاً: ((ويل للذي يحدث بالحديث ليضحك به القوم فيكذب، ويل له ويل له)).

وختم رحمه الله بهذا الحديث الذي فيه التهديد والوعيد للذي يحدث بالحديث ليضحك الناس، ليضحك به الآخرين فيكذب، أي يُدخل في كلامه أشياء هي من الكذب لا لشيء إلا ليضحك الآخرين، فالنبي صلى الله عليه وسلم قال: ((ويل له)) أي من كان كذلك، ثلاث مرات يكررها صلوات الله وسلامه عليه ؛ بياناً لخطورة هذا الأمر.

وهذا النوع من الكذب وهو الكذب من أجل إضحاك الناس كثر جداً في هذا الزمان، وهو أمر خطير وفيه تهديد ووعيد صحَّ عن نبينا الكريم صلوات الله وسلامه وبركاته عليه.

سبحانك اللهم وبحمدك ، أشهد أن لا إله إلا أنت ، أستغفرك وأتوب إليك .
اللهم صلّ وسلم على عبدك ورسولك نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.